مقدمات عشر في التعليق على رسالة:

(حوار بين مؤمن وملحد)

للعلامة/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -

لفضيلة الشيخ:

د. عبدالعزيز الريس

1441هـ

الفهرس

مقدمة الشارح ١

مقدمات قبل شرح الرسالة ٢

المقدمة الأولى: المراد بالإلحاد في كلام الشيخ السعدي ٢

الإلحاد أقسامٌ ثلاثة ٢

إذا كان الإلحاد ليس ظاهرة عند المسلمين، فلماذا الكلام عنه؟ ٣

المقدمة الثانية: أدلة وجود الله تعالى ٤

المقدمة الثالثة: من أقوى أساليب الملاحدة: الغلو في الشك ٩

الرد العقلي على منهج التشكيك ١٠

الرد الشرعي على منهج التشكيك ١١

الجواب على بعض اعتراضات أهل التشكيك ١٢

(١) استدلالهم بالآية: (رب أرني كيف تحي الموتى) ١٢

(٢) كيف سيهتدي الكفار إلى الحق؟ ١٣

(٣) قولهم: محاربة الشك دعوة إلى التقليد! ١٣

المقدمة الرابعة: محاولة الملاحدة إثبات عدم وجود شيء يقيني ١٤

المقدمة الخامسة: شبهة عدم الإيمان بما لا يُرى ١٥

المقدمة السادسة: نظرية داروين ١٦

المقدمة السابعة: الإلحاد بدافع الراحة من تأنيب الضمير ١٨

المقدمة الثامنة: الغلو في العقل والثقة في النفس ٢٠

المقدمة التاسعة: من أسباب الإلحاد: الاضطراب في الإيمان بالقدر ٢١

المقدمة العاشرة: علاج الإلحاد..... ٢٤

بداءة التعليق على المتن ٢٩

التفريق بين الإسلام وبين المسلمين ٣٦

الجانب المظلم في حضارة الغرب الذي لا يُظهره المنبهرون بهم ٤٢

أكثر كفر بني آدم ليس بسبب الجهل ٤٤

الرد على الاستدلال على بطلان الإسلام بضعف المسلمين ٤٥

أمور مهمة مُوجَّهة للدعاة الذين يحاربون الإلحاد ٤٩

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد طالعت تفريغًا لدورة علمية في شرح رسالة: (**حوار بين مؤمن وملحد**) للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قام بإعداده بعض الإخوة، ووضعوا له فهرسًا، وأسميته:

«**مقدمات عشر في التعليق على رسالة حوار بين مؤمن وملحد للعلامة ابن سعدي**»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

http://islamancient.com

المشرف على موقع الإسلام العتيق

١٣ / ٦ / ١٤٤٣هـ

مقدمة:

هذه الرسالة رسالة مختصرة ألَّفها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيفتين أو ثلاث، وقبل البدء في التعليق على هذه الرسالة أُقدم بمقدمات:

المقدمة الأولى: المراد بالإلحاد في كلام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكما هو شائع ومعروف: هو إنكار وجود الله، وإنكار الأديان، فإذا قيل: فلانٌ ملحد، أي: يُنكر وجود الله ويُنكر الأديان.

والإلحاد من حيث الجملة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الرجل في ابتداء حياته ملحدًا، ينشأ ملحدًا ويستمر على إلحاده.

القسم الثاني: أن يكون نصرانيًا ثم يلحد، وهذا كثير، بل كثير من الدول الشيوعية انقلبت من النصرانية إلى الإلحاد، وكثير من الأوربيين والغربيين الأمريكان وغيرهم انتقلوا من النصرانية إلى الإلحاد.

القسم الثالث: أن ينقلب الرجل من الإسلام إلى الإلحاد، وهذا -ولله الحمد- قليل للغاية، ولا يصح أن يُوصف بأنه ظاهرة، لأنه نادر وقليل في المسلمين.

فلذا -والله أعلم- لا ينبغي أن يُشاع ذكر الإلحاد بين المسلمين، وإن كان موجودًا لكنه قليل، فإنَّ من الأخطاء شرعًا أن يُشاع المنكر؛ لأنَّ في إشاعته تهوينًا وتسهيلًا له، حتى يُستمرَأ، فهو داخلٌ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩] فالمنكرات لا تُنشر ولا تُشاع، فما بالكم في مثل الإلحاد الذي هو نادر وقليل في المسلمين؟

وكذلك -والله أعلم- لا ينبغي أن تظهر مؤسسات في بلاد المسلمين لاسيما في دولة التوحيد السعودية لمحاربة إلحاد المسلمين.

فإن قيل: إذا كان كذلك فلِمَ تُعقد بعض الدروس في محاربة الإلحاد؟

فيقال: لأسباب، منها: **أولًا**: أنه أمرٌ شائعٌ في بلاد الكفار كأوربا وروسيا وغيرهما، فلابد أن يعرفه المسلمون، فلو قُدر أن مسلمًا ابتُلِيَ بمثل هؤلاء يكون على حيطةٍ وحذرٍ.

ثانيًا: من باب الوقاية للمسلمين؛ فإن الوقاية خير من العلاج.

ثالثًا: حتى يستطيع المسلم دعوتهم، فقد يسَّر الله بكرمه أنْ قابلتُ جمعًا من هؤلاء في بعض الدول الأوربية المستقلة من روسيا، وكان كثير منهم ملحدًا، وأسلَمَ ولله الحمد كل من جرى معه نقاش، بل إنني رأيت القوم هناك ما بين ملحدين ونصارى، والملحد سريع الإسلام، أما النصراني يتأخر قليلًا؛ لأن الملحد كالإناء الفارغ، أما النصراني كالإناء المتسخ فيحتاج أن يُنظف أولًا ثم يُستفاد منه، فبطلان الإلحاد جليٌّ للغاية، لكن حبذا أن يكون المسلم مطلعًا على ما عند هؤلاء وعلى معرفة بشبهاتهم والجواب عليها، لاسيما وقد خرج بين المسلمين من يُظهر محاربة الإلحاد وهو من أقوى الناس في تمكينًا للإلحاد! بل لما أُجريت لقاءات ومقابلات مع بعض مَنْ ألحدَ من المسلمين، كان سبب إلحاده: مطالعته واستماعه لأمثال هؤلاء، وستأتي الإشارة إليهم -إن شاء الله تعالى-.

المقدمة الثانية: أدلة وجود الله كثيرة للغاية، كما قال أبو العتاهية:

وَفِي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ ... تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّـهُ وَاحِــدٌ

ومن استقرأ أدلة وجود الله في القرآن فحسب لوجدها كثيرةً للغاية، وسأذكر بعضها، لكن قد يعترض مُعترضٌ ويقول: كيف تستدل للملحد بالقرآن وهو لا يؤمن به ولا بالله؟

فيقال: قد ناقش ربنا سبحانه بالأدلة العقلية على وجوده لأمور أخرى، فنحن نستفيد من هذه الأدلة دلالتها العقلية على أن الله موجود بعيدًا عن الإيمان بالقرآن.

ومن أدلة وجود الله من القرآن ما يلي:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**﴾ [الطور: ٣٥] توارد العلماء على ذكر هذه الآية دليلًا من أدلة السَّبر والتقسيم؛ وذلك أن الآية جعلت الخالقين أقسامًا ثلاثة:

- **القسم الأول**: خلقَ نفسهُ بنفسهِ.
- **القسم الثاني**: خُلِقَ صدفة.
- **القسم الثالث**: خَلَقَهُ اللهُ تعالى.

أما القسم الأول: وهو أنْ يخلقَ نفسهُ، فأوضح دليل في بطلانه: أنه لا يمكن لأحد أن يخلق نفسه، فكيف يكون خالقًا ثم يكون مخلوقًا؟ فيلزم من ذلك الدور والتناقض، فيكون هذا الاحتمال ساقطًا.

أما القسم الثاني: وهو أنه خُلِقَ صدفةً، فهذا لا يُمكن؛ لما في خلق الله من الإتقان وغير ذلك، فلم يبقَ إلا القسم الثالث: وهو أنَّ الله سبحانه هو الخالق.

الدليل الثاني: إتقان خلق الله، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [البلد: ٤] وقال سبحانه: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

إنَّ مَنْ تأمَّل في حُسنِ خلق الإنسان فضلًا عن خلق المخلوقات العظيمة تبيَّنَ له أنَّ هذا الخلق لم يُخلَق عبثًا، فإتقان الصنعة دليلٌ على إتقان الصانع، والإنسان فيه من حسن الخِلقة ما الله به عليم، فتأمَّل مكان العينين وكيف لو أنها كانت إحداها في الجهة اليمنى والثانية في الجهة اليسرى، كيف يستطيع أن يمشي الإنسان؟ سيضطر أن يمشي في جهة واحدة ثم سيكون اتساع بصره ونظره ضيِّقًا.

وتأمَّل في الشعر، ترى في أصل كل شعرة مادة دهنية، إذا يبست هذه المادة الدهنية تساقط هذا الشعر فلولا هذه المادة الدهنية لتكسر الشعر مع أول لمسة.

ثم هكذا تأمَّل في وظائف الكلى وما تقوم به في دقيقة، وما الذي يُعادله من الصناعات حتى تقوم ببعض هذه الوظائف، وغير هذا كثير، وهو لا يمكن أن يكون صدفة، بل لابد أنَّ له خالقًا متقنًا، ... كل هذا في خلق الإنسان، فكيف بغيره من المخلوقات الأكبر والأعظم؟

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: **" وفي نفس الإنسان عبرة تامة فإن من نظرَ في خلق أعضائه وما فيها من المنافع له وما في تركيبها من الحكمة والمنفعة، مثل كون ماء العين مالحًا ليحفظ شحمة العين من أن تذوب، وماء الأذن مرًّا ليمنع الذباب من الولوج، وماء الفم عذبًا ليطيب ما يمضغ من الطعام، وأمثال ذلك علم علمًا ضروريًّا أن خالق ذلك له من الرحمة والحكمة ما يبهر العقول".**

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص٢١٤.

الدليل الثالث: قال موسى -عليه السلام-: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه: ٥٠] هذه الحُجَّة حاجَّ بها موسى -عليه السلام- فرعون لما أراد أن يُنكر وجود الله، وهذه آية عظيمة في إثبات خلق الله، وهو أنه هَدَى كل مخلوقٍ لما يصلح له، وتأمل الشمس كيف هداها في مسيرها فلا تصطدم بغيرها، ثم تأمل القمر وكيف هداه في مسيره فلا يصطدم بغيره.

ثم تأمل كيف هدى الريح بل وكل المخلوقات، وبعض الحيوانات تكون في بيضة فما إن تخرج إلا وتتجه إلى مكان عيشها كأنه قد عُلِّم ودُرِّس وهو في بيضته، وصدق الله ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٥] إنَّ مما يدلُّ على أنَّ لهذا الكون خالقًا أنه لو قيل بأنه ليس له خالقٌ وأنَّ هذا الكون ينتهي إلى لا شيء: أنَّ هذه المخلوقات قد خُلِقَت عبثًا، وهذا لا يليق بحكمة الله، فلابد أنْ يكون في خلق الله من أحسَنَ ومنهم من أساء، ولابد أنَّ منهم من يُرغَّب بالإحسان، وأنَّ منهم من يُرهَّب بالإساءة، فلو قيل إنَّ الجميع سينتهي إلى لا شيء، لَلَزِم من ذلك العبث، فلابد أن ينتهوا إلى شيء يجعلهم يُحسنون

معيشتهم في الحياة، ويجعل بعضهم يتمايز عن بعض، وهذا من أعظم الأدلة على أن لهذا الكون خالقًا وهو الله سبحانه وتعالى.

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة وما تقدم ذكره كافٍ، بل إنَّ دليلًا واحدًا منها كافٍ.

المقدمة الثالثة: من أقوى طرق الملاحدة في هذا الزمن إثارة الشكوك والغلو في الشك، وللأسف هذا الأسلوب موجود عند بعض من ينتسب للإسلام ممن يريد أن يُحارب الملاحدة، فيُقرِّر الشك ويدعو إليه ثم يدعو للحُجَّة التي تُزيله، وهذا بدعوى: أن يكون الإيمان يقينيًا.

ومن لا يدري ونظرَ إلى ظاهر هذا الكلام ظنَّهُ حسنًا، لكنه من أبطل الباطل، وله ارتباطٌ بمذهبِ المتكلمين، وهو أنَّ أول واجب على المكلف النظر، ومنهم من قال: الطريق إلى النظر، ومنهم من قال: الشك. كما ستأتي الإشارة إليه -إن شاء الله تعالى-.

وهذا الأسلوب في الشك باطل عقلًا وشرعًا، ولم أؤخر شرعًا لتأخر منزلته، لكن لأنَّ المفترض أنَّ الحديث مع قوم لا يُقرِّون بكتاب الله وسنة النبي ﷺ.

ومن شبهات السائرين على منهج الشك قولهم: لا يمكن أن نستيقن الإيمان إلا بالشك ثم الرجوع للحُجَّة في تقريره!

والرد على هؤلاء عقلًا من أوجه:

الوجه الأول: مَنْ خَرَجَ من بيته متجهًا إلى بيت أحد وهو يتَّبعُ قائدًا أو موجهًا، ثم وصَلَ لوُجهته، فلا يصح أن يقال له: إن وصولك لهذه الوجهة كان بتقليد، فلا يُعتد به؛ لذا: شُكَّ في وصولك وارجع واضبط الطريق. فهل يقبل هذا عاقل؟ المقصد من اليقين هو أن يحصل المراد وقد حصل بوصوله، فلماذا يقال له ارجع إلى الوراء؟

الوجه الثاني: في المثال السابق: مَنْ وَصَلَ إلى وجهته ثم شكَّ ورجعَ قد لا يتيسر له الرجوع؛ فقد لا يهتدي الطريق، وكما قيل: ليس في كل مرة تسلم الجرة.

الوجه الثالث: إذا قيل للمسلم: شُكّ ثم ارجع ودلّل على إيمانك. قد لا يتيسَّر له الرجوع مرةً أخرى لوجود مانع، وما أكثر الموانع التي تمنع الوصول، كالموت، أو عقوبة الله له، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] فإذن لماذا المخاطرة؟ لذلك إذا اهتدى المرء

للإسلام فلا يصح أن يؤمر بالشك حتى يتيقَّن إسلامه، وهذا خطأ كبير وضلال في العقل.

أما الرد عليهم شرعًا فمن أوجه:

الوجه الأول: أنَّ الشريعة ذَمَّتْ الشك والحيرة؛ لأنَّ الشك طريقٌ إلى الحيرة، كما قال تعالى: ﴿**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ**﴾ [الأنعام: ٧١] وقد بيَّن هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تنبيه: ذكر القرافي في ثنايا كلامٍ له أنَّ الشكوك علم، فردَّ على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) وبين أنه ليس علمًا بل طريق للعلم إذا أراد الله بعبده خيرًا وإلا قد لا يهتدي، والشريعة لا تدعو إلى الحيرة بل تذم ذلك.

الوجه الثاني: أنَّ الله سبحانه لم يدعُ الناس إلى الشك بل دعاهم إلى أن ينتقلوا من الباطل إلى الحق، وكذلك فعل الأنبياء والمرسلون، ففرقٌ بين أن يُدعى الناس للانتقال من الباطل إلى الحق بالأدلة الشرعية، وبين أن يُدعى الناس إلى الشك، فالقرآن نزلَ على النبي ﷺ وجاء إلى كفار قريش

ودعاهم به، فهل رأيتم ربنا سبحانه وتعالى أو نبينا ﷺ ابتدأ معهم بالشك؟ أو ابتدأ في دعوتهم للانتقال للحق؟

وقد يُعترض بعضهم على هذا باعتراضات منها:

الاعتراض الأول: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى**﴾ قال: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم -عليه السلام-**».

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في (مجموع الفتاوى)، وابن القيم كما في كتابه (التبيان في أحكام حملة القرآن) و(مدارج السالكين) وغيرهما من كتبه: أنَّ الشك الذي كان عند إبراهيم -عليه السلام- ليس الشك الذي يُقابل اليقين، وإنما كان عند إبراهيم -عليه السلام- علم اليقين، فأراد أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، فلم يكن -عليه السلام- في شكٍّ وحيرة، وإنما أراد أن ينتقل من درجة عليا إلى درجة أعلى، فلا علاقة لهذه الآية بما نحن بصدده.

الاعتراض الثاني: لمحاربة الشك لوازم وهو أنه كيف يمكن لصاحب ضلالة أن يهتدي إلى الحق لولا الشك؟ كيف نستطيع أن نهدي يهوديًا أو نصرانيًا أو جهميًا أو رافضيًا أو معتزليًا وهكذا...؟ لولا أن يشككوا ابتداء

الجواب: ليس الطريقة لهداية الناس أن تُورث عندهم الشكوك، بل الطريقة أن تفعل ما فعله الله في كتابه والنبي ﷺ في سنته، وهو أن تدعوهم إلى الحق بدليله، فإذا فعلت ذلك ثم ظَهَرَ لهم الحق، وجَبَ عليهم أن ينتقلوا من الباطل إلى الحق، وعروض الشك على صاحب الباطل خير من استمراره بيقين على الباطل، لكن في الأصل يدعى إلى الحق، وفرق بين أن يكون الشك مقصودًا وبين أن يأتي الشك عرضًا لا قصدًا، فلسنا في حاجة أن ندعوهم إلى الشك، بل نحن في حاجة أن ندعوهم إلى الحق بدليله.

الاعتراض الثالث: قول بعضهم: محاربة الشك دعوة للتقليد!

فيقال: هذا غير صحيح، ولو قدر أنه صحيح فإنَّ الرجل إذا قلَّد أهل الحق فاهتدى للحق فهو خيرٌ ممن هو على الباطل بغير تقليد، وخير ممن هو على شك، فلو قدر أن رجلًا سألك: أين المدينة الفلانية، أو أين بيت

فلان؟ ثم أمرك أن تتبعه حتى يُوصلك، فأنت مقلدٌ له لكنك وصلت إلى مرادك، وهذا خير ممن لم يصل أو بقيَ شاكًّا.

فالناس على أصناف، وأعلى صنف أن يكون مجتهدًا بالأدلة الشرعية والعقلية، ثم الصنف الذي يليه وهو من لم يتيسر له الاجتهاد فيبقى مقلدًا على الحق، وبقاؤه مُقلدًا على الحق خير من بقائه على الباطل أو أن يكون شاكًّا حائرًا.

المقدمة الرابعة: يحاول الملاحدة أو من سلك مسلك الشك في مناقشة الملاحدة -كعدنان إبراهيم وأمثاله-أن يُقرروا عدم وجود شيء يقيني، وأنَّ كلَّ شيءٍ قابلٌ للاحتمال، ومن ذلك زعموا أنَّ وجود الله ليس يقينيًّا.

وهذا باطلٌ شرعًا وعقلًا، أما من جهة العقل: فهذه مكابرة؛ فاعتقاد الإنسان إنسانيته يقين مجزوم به، وكذلك اعتقاد الإنسان وجود نفسه يقينيّ قطعيَ، والقول بأنه لا يوجد شيء متيقَّن وأنَّ كل شيءٍ يتطرق إليه الاحتمال مكابرةٌ، **هذا أولًا**.

وثانيًا: من قال هذا الكلام متناقض وغبي أو لم يُوفَّق، فتقول له: يا مجنون، إذا أردت أن تشرب ماء وأنت عطشان، هل تقول: لا أشرب هذا

الماء ففيه احتمال أنه ليس ماءً، أو كنت جائعًا فتقول: لا آكل هذا الطعام ففيه احتمال ليس طعامًا. فإذن لا تأكل ولا تشرب وتموت؟

ثالثًا: تَطرُّقُ الاحتمال للأشياء نسبيّ، فقد تشاهد أشياءً وتتيقَّن بها وغيرك لم يُشاهدها فلم يتيقَّن بها، وقد تتبصَّر بعقلك ما لا يتبصَّرهُ غيرك، فلا يصح أن تُجعل الأمور النسبية أمورًا كليَّة، فهي تختلف من شخص إلى شخص ومن حال إلى حال.

فدلائل وجود الله قطعية، ومحاولة إيراد الاحتمالات لا فائدة منه لأنها لو قبلت –تنزلًا–فيكون إثبات وجود الله من غلبة الظن، ولو ترك كل ما كان من غلبة الظن لتطرق الاحتمالات عليه لفسدت الحياة فكيف آكل طعامًا؟ لأنه يحتمل ألا يكون طعامًا ويحتمل أن يكون ضارًا وغيره ذلك.

أما من جهة الشرع فقال تعالى {أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [إبراهيم: ١٠] فهذه صريحة في الرد على زعمهم الباطل.

المقدمة الخامسة: يقول بعضهم: لا يصح الإيمان إلا بما يُرى، ونحن لا نرى الله فكيف نؤمن به؟

والرد على قولهم هذا من أوجه:

الوجه الأول: أننا وإن لم نرَ الله بأبصارنا لكن رأينا الدلائل الكثيرة الدالَّة عليهِ سبحانه وتعالى، فلذلك قيل: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير... وقد رأينا دلائل وجود الله سبحانه وهي تتكرر معنا كل دقيقة، بل كل لحظة.

الوجه الثاني: أنَّ القول بأنه لا يُؤْمَن بشيء حتى يُرى غلط ومكابرة؛ وذلك أنهم آمنوا بالروح ولم يروها!

الوجه الثالث: لازم هذا القول إلغاء العقل الذي غَلَو فيه؛ وذلك أنَّ العقل لا يُرَى، فرجعوا إلى إلغاء العقل الذي عظموه!

المقدمة السادسة: نظرية داروين، هذه النظرية عجيبة للغاية، والأعجب من ذلك انتشارها بين الناس، لكن لما علمت أنَّ وراءها الصهاينة زالَ العجب؛ فهم يسعون لإضلال كل بني آدم من كل دين ولهم تمددهم الماسوني وغيره، فانتشار هذه النظرية ليس لأجل قوتها في نفسها وإنما لوجود من يدفعها وينشرها، وإلا هي نظرية ساقطة لا يصدقها مجنون فضلًا عمن له نصف عقل، فضلًا عمن له عقل.

وتقوم نظرية داروين على أنَّ أصل الكون خلية عشوائية، ثم هذه العشوائية ترتَّبتْ وتحسَّنت مع التطور، فكلما تطوَّر ترتب وحسن.

ومن الأمور التي تقوم عليها النظرية: أنَّ البقاء للأحسن والأكمل، ومن ذلك زعمهم أن أصل الإنسان قرد، وأصل القرد يرجع إلى ما يرجع إليه، لكن البقاء للأقوى والأحسن، لذا يُصرح داروين ومن تأثر بنظريته بأنَّ كل من كان دون الأكمل والأحسن فيستحق أن يُباد، فيحق للأكمل أن يُبيد الأنقص والأضعف، ويُرجع داروين الإنسان الكامل إلى الإنسان الأوربي الأبيض الذي اشتدَّ في بياضه، وكلما كان أنقص بياضًا -ليس الأسود- فيصحّ للأبيض أن يُبيده أو أن يستعبده.

لذا يُستغرب ممن ليس شديد البياض ويُصدق بهذه النظرية! مع أنها ترجع عليه بالإبادة! فهي نظريةٌ سافلةٌ بكل معاني السُّفل.

والرد على هذه النظرية باختصار من أوجه:

أولًا: أين الدليل على صحة هذه النظرية؟ فهي لا تعدو أن تكون دعوى بلا برهان، وتكرار الدعوى لا يجعلها صحيحة، ثم العجب من رد

الأدلة المتواترة المتكاثرة المتتابعة في كل دقيقة بل في كل لحظة على وجود الله ثم يُصدَّق بهذه النظرية التي لا دليل عليها؟

ثانيًا: على القول بصِحَّة نظرية داروين فإنه لا يلزم منها الإلحاد، حتى لو سلمنا بأنَّ الإنسان كان قردًا ثم تطور وصار إنسانًا، فلا يتنافى ذلك مع وجود الله وأنه هو الخالق، لذلك من النصارى الذين يؤمن بوجود الله وبعيسى من يؤمن بنظرية داروين، ويُقرّ بأنَّ أصل الإنسان قرد ويقول: الله هو الذي خلق هذا التطور.

تنبيه: لا شك نظرية داروين كفر؛ لأنها مُكذِّبة للقرآن الذي جعلَ أصل الإنسان آدم -عليه السلام- لا القرود.

المقدمة السابعة: يلحد بعضهم ليفر من تأنيب الضمير بسبب فعل المعاصي، وقد سمعت هذا الكلام من بعض من ألحد في أحد اللقاءات.

والرد على هذا من أوجه:

الوجه الأول: مَثَل هذا كمَثَل طالِبَيْن، الأول: جادٌّ وكلما نقصت درجته تأثَّر، وهو يسعى لتكميل درجاته ورفع مستواه، فهو يجتهد ليصل للدرجات العالية، والثاني: مهمل كسول، وبدل أن يتعب ويعيش هم

وتعب التفوق قرَّر أن يترك الدراسة كلها، فعاش بطَّالًا، ولا شك أنه ارتاح من تعب الدراسة لكنه أصبح من المتأخرين، ومَثَل الأول مَثَل من يتعب في تحصيل دنياه، فاليوم يكدح ويتعب ليرتاح وقت الراحة بخلاف الثاني الذي يرتاح ثم يتعب لاحقًا، قال المتنبي:

ذو العقلِ يشقى في النعيمِ بعقلهِ ... وأخو الجَهَالةَ في الشقاوةِ ينعَمُ

فصاحب العقل يشقى بعقله لأنه يريد أن يرتفع فيتعب ويُجاهد، والجاهل الذي لا يفعل شيئًا ينفعه مهمل بطَّال، والعبرة بعدُ، ففرقٌ بين حياة هذا وحياة الآخر، فتركُ الجدِّ في الطاعة أو السعي لتحصيل الدنيا ليس حلًا.

الوجه الثاني: من كانت هذه حاله فهو كالنعامة التي تُخادع نفسها فتغطي رأسها لئلا يراها أحد، إنَّ مجرد الإلحاد لأجل الراحة النفسيَّة هو إقرارٌ ضِمنيٌّ بالربِّ والدِّين والبَعث، ومخادعةُ النفس بالإلحاد لا يجدي شيئًا.

الوجه الثالث: أنَّ أمثال هؤلاء لا يَسلمون من الهموم والغموم بل يعيشون همًّا وغمًّا لا يعلمه إلا الله، فللذنوب وحشتها فكيف بالكفر والإلحاد؟

المقدمة الثامنة: مما أضرَّ بكثيرين المبالغةُ في العقل والثقةُ بالنفس، واحترام العقل والاستفادة منه أمرٌ محمود وإنما المذموم المبالغة في ذلك، والعقل غريزيٌّ في أصله وقد يُكتسب، وهو من باب التقريب: إناءٌ فارغٌ وكلما كان الإناء أحسن كان أحسن في حفظ وضبط ما وُضع فيه، فما في عقلك من معلومات قد استجلبها العقلُ من تجارِب الحياة، والقراءة، أو دراسة أو غير ذلك، فهناك فرقٌ بين العقل وبين المعلومات.

فلو قال قائل: أنا لي عقل، فإذن سأخوض مع الأطباء في العمليات الجراحية، فهل يقبل هذا أحد؟ كلا، بل هذا جنون، ولو كان له عقل لما قال مثل هذا؛ لأنَّ مقتضى العقل أن يُوكل الأمر إلى أهله.

ومثل ذلك أن يُقال لشاب مفتول العضلات قوي الجسم: اسبح في بحر. وهو لا يُحسن السباحة، فيقال له: ما أقواك وما أشجعك، اسبح! فمع الخديعة والتزيين والتجميل والنفخ فيه رمى نفسه في البحر، فغرق.

فوجود العضلات والقوة البدنية شيء، ومعرفة السباحة شيء آخر، ووجود العقل شيء ومعرفة التخصص وكيف يُؤتى الأمر من بابه شيء آخر، فرحم الله امرءً عرف قدر نفسه، والعلم الشرعي إذا لم تدرسه وتأته من بابه ولم تتأصَّل فيه، فكيف تخوضه؟ وهكذا علم الطب والهندسة وبقية العلوم ...

وعدنان إبراهيم وأمثاله خدعوا الشباب بمثل هذا، فنفخوا فيهم وأنَّ لهم عقولًا ولهم قدرة، وأنه لابد أن يكون عندهم ثقة في النفس، فانتفخ الشاب ثم خاض الميادين التي لا يُحسنها فغرق في بحار الإلحاد -عافاني الله وإياكم-.

المقدمة التاسعة: اختلاف أقدار الله على الناس، وكثير ممن ألحد قد ألحد بسبب اضطرابه في باب القضاء والقدر، فيقول: قد قدَّر اللهُ عليَّ وعلى أهلي بمصائب عظيمة دون فلان، فلماذا أنا فقير وفلان غني، لماذا أنا مريض ومشلول وفلان ليس كذلك؟ فينظر للتغاير في أقدار الله في خلقه، فشكَّ في الله بسبب ذلك ودُخل عليه من هذا الباب.

والجواب على هذا من أوجه كثيرة أذكر بعضها باختصار:

الوجه الأول: تقدم ذكر الأدلة على وجود الله، والأدلة على وجود الله كثيرة للغاية، فوجود الله ثابت بيقين، واليقين لا يُردُّ بمثل هذا، فكيف إذا كان أشد اليقين بل الأدلة اليقينية متواردة ومتكاثرة على ذلك؟ لكن يُقال فيما يعرض في فهم القضاء والقدر: هذا مُشكل، واليقين يبقى على يقينه، واليقين لا يُرد بالمُشكل وإنما يُرد المشكل إلى اليقين.

الوجه الثاني: وجود الله يقين، لكن لا نعرف حكمته في التغايُر في الخلق، فعدم علمنا بالحكمة لا يدل على عدم الحكمة، ومن القواعد العقلية المهمة أنَّ **عدم معرفة الحكمة ليس نفيًا للحكمة**.

ويُقرب هذا برجل مريض قرَّر الأطباء العارفون بقْرَ بطنهِ وأن يُفعل به كذا وكذا، فقال: اشرحوا لي، فلم يفهم. ثم أعادوا الشرح فلم يفهم، ثم قالوا: أنت ما بين خيارين، إما أن توافق فيُبقر بطنك لتُعالج أو تُترك فتموت... فكل عاقل يلومه لأنه قدَّم عدم فهمه -بسبب عدم تخصصه- على كلام المتخصصين العارفين الموثوقين، فالمطلوب منه أن يسلم لأهل الخبرة، فإذا كان هذا في البشر ففي رب البشر من باب أولى.

الوجه الثالث: أنَّ الاعتراض على أفعال الله -ومنه المغايرة في الأقدار- لا يصح أن يكون سببًا لإنكار وجود الله، بل ولا يصح بحثه فيما نحن بصدده لأنه فرعٌ عن إثبات وجود الله، فإذا أثبتَّ وجود الله- كما دلت عليه الأدلة الكثيرة-وجبَ التسليم لما لم تظهر الحكمة من فعله؛ لأن مغايرته لنا في الذات والصفات والحال تمنع الاعتراض عليه بل تُوجب التسليم له فيما لا تعرف حكمته ولا يكون سببًا لإنكار وجوده، وهذا واضح للغاية لمن تدبره وفهمه.

الوجه الرابع: من يعترض بهذا الاعتراض فنظرته قاصرة؛ لأن الأدلة تكاثرت على وجود الرب سبحانه، وأن الحياة طريق للآخرة، فنحن مخلوقون في دار نكد، وكل من فيها فهو في كبد، لولا حلاوة الإيمان ولذته وانشراح الصدر به، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] لأنها ليست دار بقاء وإنما دار عبور ودار فناء، فلذلك ينوِّع الله -وهو أحكم الحاكمين- على عباده البلاء، ونحن خُلقنا للامتحان، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فمن الناس من يبتليه بالسراء، ومن الناس من يبتليه بالضراء، وفتنة السَّراء أشد من فتنة الضرَّاء، وهذا ما لا يعلمه كثيرون، وقد تكلم على هذا

ابن مفلح في أوائل الآداب الشرعية، ونقل نقلًا مفيدًا عن ابن الجوزي وهو قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك أن الجائع إذا لم يوضع أمامه الطعام صبر، لكن إذا وُضع أمامه الطعام لم يستطع الصبر، ففتنة السراء أشد من فتنة الضراء.

ثم من رحمة الله أنه قد يُحب فلانًا فيُعجِّل له العقوبة أو البلاء حتى يرفع درجته، وهو سبحانه أحكم الحاكمين، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] لذلك الجواب على هذا كله أن نعلم أن الله حكيم، ولا نعلم تفاصيل حكمته، فنُرجع الأمر إليه سبحانه، لذا قيل: الإيمان بالقدر بلسم الحياة.

ومن أعظم ما يشرح الصدر أن تؤمن بقضاء الله وقدره حلوه ومره، وأن تُسلم الأمر كله لله سبحانه وتعالى، وأن تعلم أنه لم يختر لك إلا الخير.

المقدمة العاشرة: علاج الإلحاد له حالان:

- **الحال الأولى:** قبل وقوعه.
- **الحال الثانية:** بعد وقوعه.

أما علاج الإلحاد قبل وقوعه، فكما قيل: الدفع أسهل من الرفع، والوقاية خير من العلاج، ويكون ذلك بأمور:

الأمر الأول: الدعاء، لذا شُرع لنا في صلاتنا أن نقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة، وأعظم الدعاء هو دعاء سورة الفاتحة وهو قوله سبحانه: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: ٦] ومن معاني هداية الصراط المستقيم: الثبات على الحق، لذلك ثبت في صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ ﷺ قال: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**». وهو النبي ﷺ فكيف بنا؟

الأمر الثاني: عدم السماع لكل أحد، فبعض الناس قد أرخى سمعه لكل مُتكلِّم، فما إنْ يتكلم أحد إلا ويسمع له، وهذا خطأ، فقد يكون المتكلم جاهلًا، لكن يُريد العلو في الأرض ولفت الانتباه، وهذا من أكبر أسباب الإلحاد عند بعض من ألحد من المسلمين، روى الإمام مسلم في مقدمته عن محمد بن سيرين أنه قال: **إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**.

الأمر الثالث: ملازمة العلماء الراسخين وملازمة طريقتهم وأخذ العلم عنهم وعمن سار على نهجهم، وقد منَّ الله علينا بعلماء موثوقين فلسنا في حاجة إلى غيرهم، ومن أئمة السنة العظام العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة محمد ناصر

الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلى شيخنا العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالى-، والشيخ العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرهم كثيرون، فلسنا في حاجة أن نأخذ العلم عن غيرهم.

وهذا كما أنه هو الشرع أيضًا هذا هو العقل، فلو أردت أن تُصلح جوالًا لذهبت به إلى الأوثق والأعرف، وهو هاتف جوال، فكيف بدينك؟ فلا تأخذه إلا من الموثوقين وممن يسير على طريقتهم، فمن فعل هذا -بإذن الله- يكن من الناجين.

الأمر الرابع: علاج من يسلك هذه المسالك للفت الانتباه والأنظار ولأجل الرئاسة والعلو والشرف: هو أن يتذكر الموت، فالموت كائن لا محالة، فما الذي ينفعه إذا لفت الأنظار إليه أو أشار إليه الناس بالأصابع؟

أما علاج من أصبح ملحدًا من الكافرين أو المسلمين فعلاجه ما يلي:

الأمر الأول: أن ينظر في الدلائل العظيمة الدالة على بطلان هذا الإلحاد، فهذا الإلحاد لا دليل عليه لا نظري ولا عقلي.

الأمر الثاني: أنَّ الأدلة الظاهرة متكاثرة ومتواترة على وجود الله سبحانه وتعالى وقد تقدم الكلام عليها.

الأمر الثالث: عليه أن يرجع إلى المختصين وأهل العلم والمعرفة ويناقشهم مناقشة المتعلم لا مناقشة المعاند، فمن كان صادقًا فلابد أن يُهدى إلى الحق إذا شاء الله له ذلك.

الأمر الرابع: يوجد كثير من الملحدين مريض مرضًا نفسيًا، وقد يكون ممسوسًا، لذا لما كلمني بعضهم عن بعض هؤلاء قلت: اقرأوا عليه وبإذن الله مع القراءة يُشفى، فقد تكون تلبست به الشياطين فآذته، وجربوا مثل هذا، فأول ما يذكر لك أن فلانًا ألحد، أخبرهم أن يقرأوا عليه، صدقني أن كثيرًا منهم سيُشفى بإذن الله سبحانه وتعالى.

بعد هذه المقدمات ننتقل للتعليق على كلام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهذه الرسالة رسالة لطيفة ومختصرة للغاية، وله كتاب آخر أرانيه بعض الإخوة جمع فيه عدة مقالات في الكلام عن الإلحاد، وهي رسالة أطول من هذه بأضعاف مضاعفة، لكن هذه الرسالة رسالة مختصرة

وقد ألفها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي كعادته في كثير من رسائله على طريقة المناظرة.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أذكر هـهنا محاورة بين مؤمن موحد ومادي ملحد، وذلك أن رجليْنِ مسلميْنِ كانا متصافييْنِ على الإسلام وفي طلب العلم، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا؛ فإذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله وأخلاقه، فسأله صاحبه وبحث معه في تبيين السبب الذي أوصله إلى هذا التغير الذي لا يعهده منه؛ فإذا هو قد تغلبت عليه دعايات الملحدين الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ما جاء به سيد المرسلين، فحاوله صاحبه وقلبه على كل وجه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب الذي توجه به وجهة خبيثة؛ فلم يفد فيه النصح.

فعرف أن هذه علة تفتقر إلى استئصال أصل الداء ومقابلته بضده، وأن ذلك متوقف على معرفة الأسباب التي حولته وإلى تمحيصها وتوضيحها ومقابلتها بما يضادها وبقمعها، وشرحها شرحًا يبين مرتبتها من الحقيقة؛ فقال له مستكشفًا له عن الحامل له على ذلك.

فقال له: يا هذا! ما هذه الأسباب الي حملتك على ما أرى، وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه، فإن كان خيرًا كنت أنا وأنت شريكين فيه

وتابعتك على ذلك، وإلا؛ فانظر لنفسك، وانظر من عقلك وأدبك أنك لا ترضى أن تقيم على ما يضرك ويشمرك الشمرات الرديئة!

فقال له: لا أخفيك العلم أني رأيت حالة المسلمين حالة لا يرضاها عاقل، رأيتهم في ذل وخمول وأمورهم مدبرة وأحوالهم سيئة، ورأيت في الجانب الآخر هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنون العجيبة، واخترعوا الاختراعات المدهشة والصناعات المتفوقة، وقد دانت لهم الأمم وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفة بما شاؤوا ويعتبرونهم كالعبيد لهم والأجراء وأدنى من ذلك؛ فرأيت منهم العز الذي بهرني والتفنن الذي أدهشني؛ فقلت في نفسي: لولا أن هؤلاء القوم هم القوم، وأنهم على الحق والمسلمون على ضده؛ ما كانوا على الوصف الذي ذكرت لك، فرأيت سلوكي سبيلهم خيرًا لي وأحمد عاقبة؛ فهذا الذي صيرني إلى ما رأيت.

الشرح:

قوله: (أذكر هـهنا محاورة بين مؤمن موحد ومادي ملحد، وذلك أن رجليْنِ مسلميْنِ كانا متصافييْنِ على الإسلام وفي طلب العلم، فغاب

أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا ...) أي أنَّ هذين الرجلين طلبا العلم، فطال بهم الزمن ولم يلتقيا ثم التقيا بعد.

قوله: **(وأن ذلك متوقف على معرفة الأسباب التي حولته وإلى تمحيصها وتوضيحها ومقابلتها بما يضادها وبقمعها، وشرحها شرحًا يبين مرتبتها من الحقيقة؛ فقال له مستكشفًا له عن الحامل له على ذلك)** وهذه طريقة مفيدة، فإذا أردت علاج أحد فاعرف السبب الذي أوقعه فيما هو فيه، سواء كان المرض حسيًّا أو معنويًّا، وسواء كان في الإلحاد أو ما دونه، فإذا عُرف السبب سهل العلاج.

قوله: **(ما هذه الأسباب التي حملتك على ما أرى، وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه، فإن كان خيرًا كنت أنا وأنت شريكين فيه وتابعتك على ذلك، وإلا؛ فانظر لنفسك، وانظر من عقلك وأدبك أنك لا ترضى أن تقيم على ما يضرك ويثمرك الثمرات الرديئة)** وهذا أسلوب طيب، فإذا أردت كسب غيرك، فقل له: أنت انتقلت إلى حال، فإذا كان ما انتقلت إليه أحسن مما نحن فيه فبيِّنه لي، لعلي أنتقل معك، فهذا أشجع له وأرغب.

وخلاصة جواب من ألحد: أنه قد ألحد بعد إسلامه، وذلك أنه رأى الكفار متقدمين في دنياهم، ورأى المسلمين متأخرين في دنياهم، فقال: لو كان الإسلام على حق لما تأخَّر المسلمون، فدل هذا على أن الإسلام ليس على حق، فانتقل إلى الإلحاد.

قوله: **(ورأيت في الجانب الآخر هؤلاء الأجانب ...)** المراد بكلمة الأجانب في هذا السياق الاستعمال الشائع عند العوام والمراد به الغربيون والأوربيون.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال له صاحبه حين أبدى له ما كان مستورًا: إذا كان هذا هو السبب الذي حوَّلك إلى ما أرى؛ فهذا ليس من الأسباب والطرق والحقائق التي يبني عليها العقلاء وأولو الألباب عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، ويعلقون بها مستقبلهم وآمالهم، أما تأخر المسلمين فيما ذكرت؛ فليس ذلك من دينهم، بل دينهم يضاد هذا أشد المضادة، وقد علمت وتيقنت ببعض ما عرفت أن دين الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح من كل وجه: إصلاح العقائد والأخلاق والدين والدنيا، وإصلاح الأحوال الداخلية والخارجية بكل وسيلة تصلح الأمة وتكف عنها عادية الأعداء، والاستعداد لهم بكل قوة تستطاع، وها هو لا تزال تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا، تنادي أهلها: هلموا إلى جميع الأسباب النافعة التي تعليكم وترقيكم وتعزكم في دينكم ودنياكم! أفبتفريط أهل الدين بل المنتسبين إلى الدين تحتج على الدين وتوالي أعداءه؟! أليس العاقل إذا رأى هذا التفريط منهم أوجب له أن يكون نشاطه وجهاده متضاعفًا لينال المقامات العالية.

يستنقذ الهالكين من الهوة العميقة؟! أليس القيام التام لنصر الدين في هذه الحالة من أفرض الفروض وأوجب الواجبات؟! فالجهاد في حال قوة

المسلمين وكثرة المشاركين له فضل عظيم يفوق سائر العبادات؛ فكيف إذا كانوا على هذا الوصف؟! فإن الجهاد في سبيله لا يمكن التعبير عن فضله وجليل ثمراته، ففي هذه الحال يكون الجهاد قسمين:

قسم جهاد لتقويم المسلمين وإيقاظ هممهم وعزائمهم، وتعليمهم كل علم ينفعهم، وإرشادهم إلى كل صلاح وإصلاح، وتهذيبهم بالأخلاق الراقية، ولعل هذا أشق النوعين وأفضلهما.

وقسم فيه مقاومة الأعداء وإعداد العدد لهم من كل وجه.

أفحين صار الأمر على الوصف الذي ذكرت والحال التي شرحت، وصار الموقف حرجًا تتخلى عن إخوانك المسلمين وتتخلف مع الجبناء والمتخلفين؛ فكيف وأنت منضم إلى حزب المحاربين، لا تكن يا هذا أرذل ممن قال الله فيهم: {{تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا}} [آل عمران: ١٦٧] قاتلوا لأجل الدين أو ادفعوا لأجل الرابطة القومية؛ فأعيذك من هذه الحالة التي لا يرضاها ذوو الديانات ولا أهل النجدات والمودات فهل ترضى أن تشارك قومك في حال عزهم وقوة عددهم وعديدهم، وتفارقهم في حال ذلهم ومصائبهم، وتخذلهم في حالة اشتدت فيها الضرورة إلى نصرة

الأولياء وغيرهم وقمع عدوان الأعداء؛ فكيف مع هذا تظاهر الأعداء الألداء؛ فهل رأيت دينًا خيرًا من دينك؟!

الشرح:

قوله: **(إذا كان هذا هو السبب الذي حوَّلك إلى ما أرى؛ فهذا ليس من الأسباب والطرق والحقائق التي يبني عليها العقلاء وأولو الألباب عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، ويعلقون بها مستقبلهم وآمالهم ...)** يقول له: هذا الذي تحكيه لا يصح أن يكون حُجَّة، وليس أمرًا عقليًّا تُبنى عليه العقائد.

قوله: **(أما تأخر المسلمين فيما ذكرت؛ فليس ذلك من دينهم، بل دينهم يضاد هذا أشد المضادة، وقد علمت وتيقنت ببعض ما عرفت أن دين الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح من كل وجه: إصلاح العقائد والأخلاق والدين والدنيا، وإصلاح الأحوال الداخلية والخارجية بكل وسيلة تصلح الأمة وتكف عنها عادية الأعداء، والاستعداد لهم بكل قوة تستطاع)** فيُخبره أنَّ تأخر المسلمين ليس من دينهم؛ لأنَّ دينهم يدعوهم إلى التقدم، فكيف نسبت تأخرهم إلى دينهم؟

قوله: **(أفبتفريط أهل الدين بل المنتسبين إلى الدين تحتج على الدين وتوالي أعداءه؟!)** هذا أمر مهم للغاية، وهو أنَّ هناك فرقًا بين الإسلام والمسلمين، فتأخَّر المسلمين في أمور دنياهم ليس لأجل إسلامهم وإنما لأجل تقصيرهم، ففرقٌ بين الإسلام وبين المسلمين، فلذلك إذا أردت أن تنقد الإسلام لا تنقده بالنظر إلى أحوال المسلمين أنفسهم وإنما بالنظر إلى تعاليم الإسلام، فتخلف المسلمين ليس نقصًا ولا ذمًّا للإسلام.

قوله: **(أليس العاقل إذا رأى هذا التفريط منهم أوجب له أن يكون نشاطه وجهاده متضاعفًا لينال المقامات العالية. يستنقذ الهالكين من الهوة العميقة؟!)** يقول له: المفترض منك أن تكون على خلاف ذلك، وهو أنك لما رأيت المسلمين تركوا دينهم أن تكون ذا حماسة لأن تُرجع المسلمين إلى دينهم وأن تتمسك أنت بتعاليم دينك فتتقدم لا أن تتخلى عنه.

قوله: **(فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين له فضل عظيم يفوق سائر العبادات؛ فكيف إذا كانوا على هذا الوصف؟!)** إذا كان هناك جهاد في حال قوة المسلمين ففضله عظيم، فكيف إذا كان في حال الضعف فهو أولى، فدلَّ على أنَّ الجهاد يُشرع في حال قوة المسلمين على تفصيل، لكن لنفرض أن المسلمين في حال ضعف واضطروا لجهاد الدفع وهم

محتاجون لهذا الجهاد، أيصح لناصح وعاقل أن يترك دينًا وأناسًا كان معهم في حال القوة، ثم في حال الضعف تخلى عنهم؟ هذا لا يصح لعاقل. فإذن يتعيَّن عليك في حاجة المسلمين أن تقف معهم أكثر من ذي قبل.

قوله: **(فإن الجهاد في سبيله لا يمكن التعبير عن فضله وجليل ثمراته، ففي هذه الحال يكون الجهاد قسمين: قسم جهاد لتقويم المسلمين وإيقاظ هممهم وعزائمهم، وتعليمهم كل علم ينفعهم، وإرشادهم إلى كل صلاح وإصلاح، وتهذيبهم بالأخلاق الراقية، ولعل هذا أشق النوعين وأفضلهما. وقسم فيه مقاومة الأعداء وإعداد العدد لهم من كل وجه)** الجهاد جهادان: جهاد الكلمة وجهاد السيف، وجهاد الكلمة والبيان أعظم من جهاد السيف، لذا أُمِرَ ألوا العزم جميعًا بجهاد الكلمة، أما جهاد السيف فأُمِرَ به موسى -عليه السلام- وقومه فلم يستجب له قومه، وأُمِرَ به النبي ﷺ وقومه، فاستجاب له قومه.

أما نوح وإبراهيم وموسى -عليهم السلام- فلم يُؤمروا بجاهد السيف، فجهاد الكلمة أولى من جهاد السيف مع أهمية جهاد السيف، فكل الأنبياء والمرسلين مجمعون على جهاد الكلمة بخلاف جهاد السيف،

ومنذ أن بعث الله النبي ﷺ قد بعثه لجهاد الكلمة، أما جهاد السيف ما شُرع إلا بعدُ وعلى مراحل لما انتقل إلى المدينة وتقوَّى ﷺ.

قوله: (**لا تكن يا هذا أرذل ممن قال الله فيهم: {تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا} [آل عمران: ١٦٧]**) أي كحال هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم: تعالوا قاتلوا أو على أقل تقدير دافعوا مع إخوانكم وكثروا سوادهم، وقد ذمهم الله بهذا، فكيف بمن يخذل المسلمين في وقت حاجة المسلمين إليه.

قوله: (**فكيف مع هذا تظاهر الأعداء الألداء؛ فهل رأيت دينًا خيرًا من دينك؟!**) فإذن الكلام على الدين نفسه لا على أهل الدين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال له ذلك المنقلب: الأمر كما ذكرت لك ونفسي تَتُوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وألفوا السياسات الراقية والحضارات.

فقال له صاحبه وهو يحاوره: أرفضت دينًا قيمًا كامل القواعد نير البرهان يدعو إلى الخيرات، ويحث على جميع طرق السعادة والفلاح، ويقول لأهله: هلموا إلى الفلاح والنجاح! هلموا إلى دين عظيم مبني على الحضارات الصحيحة الراقية التي بنيت على العدل والتوحيد وأسست على الرحمة والشفقة على الخلق والحكمة وأداء الحقوق ومنع الظلم من جميع الوجوه والحقوق.

دين شمل بظله الظليل وخيره الكثير الطويل وإحسانه الشامل وبهائه الكامل ما بين المشارق والمغارب، واعترف بذلك الموافق والمنصف المخالف؛ أتتركه يا هذا لحضارات ومدنيات زائفة مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الجشع والطمع وظلم العباد، فاقدة لروح الإيمان

ورَوْحه ورحمته، حضارة ظاهرها مزخرف وباطنها خراب، وتظنها تعميرًا للوجود وهي حقيقة الهلاك والتدمير؟!

ألم تر آثارها وما جلبته للعباد من الهلاك والفناء؛ فهل سمع الخلق منذ أوجدهم بمثل هذه المجازر البشرية والفوضى المادية؟! فهل أغنت عنهم مدنيتهم وحضارتهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك؟! وما زادتهم غير تتبيب؛ فلا يخدعنك يا هذا ما ترى من المناظر والزخرفة والأقوال المموهة والدعاوي والدعايات الطويلة العريضة التي أخذت بقلوب الرعاع الهمج، فانظر إلى بواطن الأشياء ولا تغرنك الظواهر، وتأمل النتائج الوخيمة؛ فهل أسعدتهم هذه الحضارة في دنياهم التي لا يرجون حياة غيرها فضلًا عن أخراهم؟! ألم ترهم ينتقلون من شر إلى شرور ولا يسكنون في وقت قليل إلا وهم يتحفزون إلى الطامات؟! ثم هب أنهم متعوا في حياتهم بالعز والرياسات ومظاهر الحياة؛ فهل إذا انحزت إليهم ووالیتهم يشركونك في حياتهم ويجعلونك كأحدهم؟

كلا والله، إنهم إذا رضوا عنك بمظاهرتك إياهم جعلوك من أخس خدامهم وأقذر أجرائهم، يقضون بك وطرًا، ويجعلونك مصيدة لهم يصطادون بها كل من لا بصيرة عنده؛ فالله الله يا هذا في دينك! والله الله في

مروءتك وأخلاقك وأدبك وفي بقية رمقك! فالانضمام إلى هؤلاء هو والله الهلاك.

فلما سمع هذا الكلام وتأمل جميع الوسائل التي تنال بها الأغراض من أولئك الأقوام؛ فإذا هي مسدودة؛ فلا دين ولا دنيا، ولا راحة قلب ولا بدن ولا سلامة، عرف أنه من المغرورين، وأن الواجب عليه متابعة الناصحين، وأن الرجوع إلى الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة خير من التمادي على الباطل الذي يحتوي على الضرر العظيم؛ فقال لصاحبه: كيف لي بالرجوع، وأنّى لي وقد انحزت إلى أولئك النزوع؟ فقال له صاحبه: ألم تعلم أن من أكبر فضائل الإنسان أن يتبع الحق الذي تبين له ويدع ما هو عليه من الباطل، وأن الموفق الحازم هو الذي إذا وقع في الهلاك سلك كل وسيلة توصله إلى النجاة والفكاك وتخلِّصه مما وقع فيه الأشراك؟ واعلم أنه كلما ذاق العبد مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال، ثم تراجع إلى الحق الذي هو حبيب القلوب كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه؛ فارجع إلى الحق ثابتًا، وثق بوعد الله أن الله لا يخلف الميعاد.

فقال: الحمد لله الذي أنقذنا بلطفه وحسن عنايته من الهلاك والشقاء، ومنَّ علينا بالسعادة والهدى؛ فنسأل الله أن يتم علينا نعمته ويثبتنا عليها.

فقال له الناصح: يا أخي! وأزيدك بيانًا عما ذكرت لك أن هذه المظاهر التي تراها من الكفار قد نبهنا الله عليها في كتابه، وأخبر عنها وحذرنا أن نغتر بها، قال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ *مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧]؛ فهذا الاغترار مصيدة لهم وللجاهلين بأحوالهم، وقد أرانا الله من أيامه ووقائعه فيهم ما فيه عبرة للمعتبرين وموعظة للمتقين. والحمد لله رب العالمين.

الشرح:

قوله: (فقال له ذلك المنقلب: الأمر كما ذكرت لك ونفسي تَتُوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وألفوا السياسات الراقية والحضارات) إذا أبى أن يقبل الحُجَّة وانتقل إلى الهوى وأنه يريد الإلحاد لأجل دنياهم، فبيِّن له العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه حتى لأجل دنياهم لو أتيت معهم فلن يكرموك بل سيجعلونك في المؤخرة وخادمًا لهم.

قوله: (أتتركه يا هذا لحضارات ومدنيات زائفة مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الجشع والطمع وظلم العباد، فاقدة لروح الإيمان ورَوْحه ورحمته، حضارة ظاهرها مزخرف وباطنها خراب، وتظنها تعميرًا

للوجود وهي حقيقة الهلاك والتدمير؟!) وقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلو تأملت هذه الحضارة الأوربية لوجدت أن عندهم تطورًا في الجوانب الصناعية، لكن بالنظر إلى جانب الأسرة فقد دمروها تدميرًا عظيمًا، فبمجرد أن أضعفوا ولاية الرجل على امرأته وأسرته وأصبحت المرأة نِدًّا للرجل فدمروا الأسرة، والدولة العظيمة قائمة على المجتمع، والمجتمع على الأسرة، والأسرة قائمة على فردين؛ فلذلك فككوا هذه الأسر فأضعفوا جميع العالم.

ثم الفرد يعيش مع غيره عيشة المصلحة، حتى إن الزوجين إذا اجتمعا في بيت واحد فكل واحد منهم يقوم بنفقته، ثم العلاقات الجنسية الفاسدة زادتهم فسادًا، فحياتهم الاجتماعية دُمرت بجميع معاني الدمار، فلذلك إذا رأيت حياتهم الاجتماعية رأيت العجب العجاب.

أما من جهة الأمور المادية المالية فاقتصادهم قائم على الربا، وعلى الطبقية التامة، ما بين غني كسول لا يعمل أو فقير يكدح الليل والنهار، والدَّين يزداد عليه يومًا بعد يوم، فهذه نتيجة الربا.

قوله: (**ألم تر آثارها وما جلبته للعباد من الهلاك والفناء؛ فهل سمع الخلق منذ أوجدهم بمثل هذه المجازر البشرية والفوضى المادية؟!**) كم مات في الحرب العالمية الأولى والثانية؟ ملايين! وأعداد ضخمة! فهذه نتيجة ما سموه بالحضارة والتقدم، ثم يخادعون الناس بحقوق الإنسان، وهم أبعد الناس عن حقوق الإنسان، أين هم عن حقوق الإنسان في الأمور المالية؟ وقد غرق الناس بالديون والطبقية بسبب هذا الربا؟

أين هم عن حقوق الإنسان في إقصاء المرأة المسكينة التي أصبحت كالمرحاض يتعاقب عليها الذئاب وهي قائمة على الأولاد دون رجل؟ أين هم عن حقوق الإنسان في النظر إلى حروبهم التي أقاموها، ما إن تعادوا بينهم إلا وأباد بعضهم بعضًا بالملايين في الحرب العالمية الأولى والثانية؟ فهي دعايات لا حقيقة لها، وإنما ينخدع بها الرجل السطحي.

قوله: (**ثم هب أنهم متعوا في حياتهم بالعز والرياسات ومظاهر الحياة؛ فهل إذا انحزت إليهم ووليتهم يشركونك في حياتهم ويجعلونك كأحدهم؟ أن الواجب عليه متابعة الناصحين، وأن الرجوع إلى الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة خير من التمادي على الباطل الذي يحتوي على الضرر العظيم؛ فقال لصاحبه: كيف لي بالرجوع، وأنّى لي وقد انحزت**

إلى أولئك النزوع؟ ...) ما أكثر الذين تركوا الحق فلما أرادوا الرجوع إليه أبوا كبرًا.

لذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) وابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) أن أكثر كفر بني آدم ليس جهلًا، وإذا أردت أن تتحقق من هذا اقرأ أوائل سورة البقرة وحال بني إسرائيل، كم أظهر الله لهم الحجج والبراهين لكن أبوا، فلذلك يقول: أنا اقتنعت بكلامك، لكن كيف لي أن أرجع عن هذا الأمر الذي عُرفت به واشتهرت به؟

وأريد أن أُذكِّر أجوبة على شبهة وهي قولهم: إنَّ عند الغرب تحضُّرًا وتقدمًا في الصناعة ...إلخ، ولا وجود لذلك عند المسلمين، فدلَّ على خطأ الإسلام وصحة ما عند الغرب من الأديان.

والجواب على هذا من أوجه:

الوجه الأول: أنَّ هناك فرقًا بين المسلمين وبين الإسلام، ومن أراد أن ينتقص الإسلام فليرجع إلى معالمه وأسسه ونظامه، لا أن ينتقده بالنظر إلى القائمين به، فإن القائمين به أصناف وأجناس، فمنهم من يقوم به تمامًا

ومنهم من يُخالفه في كثير من الأمور، والناس متباينون في ذلك؛ لذا من أراد أن ينقد شيئًا فلينظر إلى نظامه لا إلى الأفراد.

الوجه الثاني: أنَّ المسلمين كانوا متقدمين في باب الصناعة، بل إن أكثر الصناعات الموجودة عند الغرب اليوم أصلها مأخوذ من المسلمين، فلو كان الإسلام يتنافى مع هذا لما كان المسلمون متقدمين، بل الغرب قبل أكثر من مائة سنة كانوا ينظرون لبلاد المسلمين لاسيما لمصر نظرة تقدم وتطور وتحضر، لما يرونه من الاختراعات والتقدم عندهم، فهذا ليس بعيدًا.

ثم في المقابل لا يصح أن يُقال إنَّ الكفر والإلحاد سببٌ للتقدم، فلو كان كذلك لكان الكفار في أزمانهم الماضية متقدمين في صناعاتهم وغيرها، والواقع على خلاف ذلك.

الوجه الثالث: من أين يُقال إن الإلحاد سبب للتطور والتقدم؟ من أي مبدأ أو دليل أو برهان؟ لا يوجد في مبادئه ولا في أصوله دعوة إلى التقدم والتطور، وإنما يوجد شيء واحد وهو إنكار الخالق، بخلاف الإسلام فإن مبادئه ظاهرة في الدعوة إلى التقدم والتطور في أمور الدين والدنيا.

الوجه الرابع: أن من أراد أن ينظر إلى التطور الذي عند الغرب فينبغي أن يكون شموليًا، فلا ينظر فقط إلى الصناعات، بل ينظر إلى جوانب الحياة الأخرى التي تقدم الإشارة إليها، كالحياة الاجتماعية والمالية إلى غير ذلك.

الوجه الخامس: أنَّ الأدلة العقلية كثيرة ومتواردة ومتكاثرة على وجود الله، فكيف يستطيع أن يردها لأن التطور والتقدم وُجد عند غيرهم؟ فليس بين الأمرين تعارض.

ومن قال إن الإيمان بوجود الله يتنافى مع التقدم والتطور؟ لذا هذه الشبهة لا ينبغي أن يُلتفت إليها، ومثلها شبهة أخرى وهي زعم أن أخلاق المسلمين متخلفة، وأخلاق الكافرين متقدمة ومتميزة، والجواب عليها من أوجه:

الوجه الأول: لا يُسلَّم بهذا، فمن قال إنَّ أخلاق الكافرين متقدمة؟ أيصح لعاقل أن يُفضِّل قومًا لأنهم تميَّزوا بشيء ويدع أشياء كثيرة للغاية؟ أين هم في الأخلاق من الأمور المادية؟ أين هم في المروءة؟ أين هم من الكرم والتضحية؟ أين هم في صدق الوفاء للأخ وللصاحب وللأم وللأب؟ أين هم في صلة الأرحام؟ أين هم في بر الوالدين؟ أين

وأين ...إلخ؟ لماذا يكون الناظر قاصرًا وجزئيًا وينظر إلى جزء ويدع أشياء كثيرة؟

الوجه الثاني: قد جاء الإسلام بالأخلاق الحسنة، وكون كثير من المسلمين قصَّر فيها فهذا لا يرجع على الإسلام بالذم، إلى غير ذلك من الأوجه التي قيلت فيما سبق.

وأخيرًا؛ إنَّ أسباب الإلحاد كثيرة ولا يمكن أن تُحصر، لكن تقدمت الإشارة إلى بعضها، ويؤكد ذلك أنَّ عقول بني آدم متفاوتة، وأقرب هذا بشيء وقع عمليًا: يوجد ممثل كبير في دولة مصر، رأى نفسه مشهورًا وله مكانة، والناس تشير إليه بالبنان، فاغترَّ وأصيب بالكبر والزهو، فألحد، وظن أنه شيء فألحد، ومرَّت السنون على ذلك ثم أُصيب بيته بحريق فاحترقت أفلامه التي سجلت تمثيله، فأصبح لا شيء، قال: فلما رأيت نفسي لا شيء علمت حقارة نفسي وضعفي، فرجع وأسلم.

فأسباب انحراف بني آدم سواء في الإلحاد أو غيره لا يكاد أن يُحصر، فهو متفاوت لتفاوت عقولهم، فالرجل لما اشتهر ألحد؟ يا لله ما علاقة الشهرة بالإلحاد؟

رسائل مُوجَّهة للدعاة الذين يُحاربون الإلحاد:

الأمر الأول: أن نحمد الله على نعمة التوحيد والسنة، والله مهما خاض الناس بعقولهم فالنتيجة: ليس لك إلا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وهذا يذكرك بصنيع شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع هؤلاء المتكلمين لما عاركهم بعقولهم وبيَّن ضعف حُجَجِهم العقلية وأرجعهم إلى الكتاب والسنة، وأنه لا نجاة إلا بها وأنها هي الحق المحض وما عداها من الحجج الكلامية هي حجج عقلية لا وجود لها.

الأمر الثاني: من فُتح له في باب مواجهة هؤلاء الملحدين فهذا باب من أبواب الدعوة وهو باب خير، فإن كان أيضًا في مواجهة من ألحد من المسلمين فأدعوهم ألا يُبالغوا في هذا، وألا يجعلوه ظاهرة، كما في بعض رجال الحسبة الذين يعملون في القضاء على المنكرات الشهوانية، فمن كثرة ما يرى من المنكرات يجعل ذلك ظاهرة عامة، لأنه لا يرى إلا هذا الجانب، ومثله مثل رجال الشرط الذين يقبضون على المجرمين، يجعلون هذا ظاهرة، وهكذا، فالمقصود أنَّ أمثال هذه الجرائم قد تكون ظاهرة وقد لا تكون ظاهرة، لكن إذا نظرت إلى عدد وأحوال المسلمين علمت أنَّ

الإلحاد لا شيء بالنسبة إلى حال عامة المسلمين، وهناك أعداد لا تُحصى تنتقل من النصرانية وغيرها إلى دين الإسلام ولله الحمد.

الأمر الثالث: أن تكون على بصيرة وبيِّنة بهؤلاء الذين دخلوا هذا الميدان وسلكوا طريقًا يُوقع في الإلحاد بزعم محاربة الملحدين، كما هي طريقة عدنان إبراهيم وطارق السويدان وأمثالهم في أسلوب الشك وغيره، فإنهم سلكوا هذه المسالك فأضرّوا أكثر مما نفعوا لأنهم لم يسلكوها على الطريقة الشرعية، وإنما سلكوها على طريقة المتكلمين وغيرهم.

أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يُحينا على التوحيد والسنة، وأن يميتنا على ذلك، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه راضيًا عنا، وجزاكم الله خيرًا.